من إصدارات الخدمة الدعوية
5

وقفات مع آيات الصيام

للشيخ
أبي بلال يوسف بن صالح بن فاضل

1444 هـ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أمر بالتذكير وأخبر أن الذكرى تنفع المؤمنين، وأنكر على الذين يُعرِضون عن التذكير فقال: (فما لهم عن التذكرة معرضين) والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، فدعا إلى الله وذكّر بأيام الله وبلّغ البلاغ المبين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أمّا بعد: -

نضع بين أيديكم كتاب "وقفات مع آيات الصيام" لشيخنا الفاضل أبي بلال يوسف بن صالح بن فاضل حفظه الله تعالى

نسأل الله أن يجعل هذا العمل

خالصاً لوجه وأن ينفع به.

١٤٤٤هـ

الآية الأولى: قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] ﴿البقرة:١٨٣﴾

نقف مع هذه الآية خمس وقفات:

الوقفة الأولى: التشريف للمؤمنين بندائهم باسم الإيمان

فأعظم أسم يُسمّى به الإنسان أنه مؤمن، قال تعالى: [بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ] ﴿الحجرات:١١﴾.

(يَا أَيُّهَا): الياء للنداء، والهاء للتنبيه.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا سمعتَ الله جل وعلا يقول في كتابه: (يا أيها الذين آمنوا) فأرعها سمعك -يعني: أصغ إليها، وأعطها أذنك- فهي إما خير تُؤمر به، أو شر تُنهى عنه.

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ): كُتِبَ: هو فعل ماضٍ متغيّر الصيغة، أصله كَتَبَ ولكن لما حُذِفَ الفاعل لمعلوميته وهو الله سبحانه وتعالى فصار الصيام نائب فاعل ورُفِعَ بدلاً من أن يكون مفعولاً به.

ومعنى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) أي فرض عليكم الصيام.

الوقفة الثانية: معنى الصيام

الصيام في اللغة بمعنى الامساك، وفي الشرع بمعنى الامساك عن المفطرات (الطعام والشراب والجماع) وسائر المفطرات بنيّة التعبّد لله تعالى.

والصوم هو سرٌّ بين العبد وربه كما جاء ذلك في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا

أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي » « لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ » رواه مسلم.

قال القرطبي رحمه الله: لماذا الصوم كان لله مع المعلومية أن العبادات كلها لله؟

لسببين: ١- أن الصوم سرٌّ بين العبد وربه. ٢- الصوم يمنع عن ملاذ النفس وشهواتها.

الوقفة الثالثة: الذي كتب علينا الصيام هو الله سبحانه وتعالى

وحذف الفاعل في الآية عندما قال (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) وذلك لمعلوميته كما قلنا سابقاً، فأحياناً في لغة العرب يُحذف الفاعل للمعلومية به كما في قوله تعالى: [خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ] ﴿الأنبياء:٣٧﴾.

الوقفة الرابعة: لماذا أخبرنا الله بأنه كتب الصيام على الذين من قبلنا؟

لأمرين: ١- لأجل أن نتنافس معهم ونأتي بالعبادة على الوجه الأكمل، فهو سبحانه القائل: [لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ] ﴿المائدة:٤٨﴾.

٢- بما أن الصيام فيه تعب ومشقة وكلفة فكأنَّ الله سبحانه يراعي نفوسنا ويقول: (كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) أي أن الصيام أيضاً مكتوب على الأمم السابقة التي قبلكم.

فإذا كنتم ترون في الصوم التعب والمشقة فلستم أنتم فقط بل مكتوب على الأمم السابقة وبالتالي لما يسمع الواحد هذا الكلام تخف عليه المصيبة (إن صح التعبير أنها مصيبة) وهذا بالمجمل فالإنسان إذا اشترك معه غيره في المصيبة تهون عليه

مصيبته؛ لكن هذا نفاه الله عن أهل النار كما قال سبحانه: [وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ] ﴿الزُّخرف:٣٩﴾.

بل كل واحد يرى نفسه أنه أشد عذاب في الآخرة فأهون واحد يُوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه.

فائدة: التخفيف في الصوم في ثلاث أمور:

١-أخبرهم أنه كُتِبَ عليهم كما كُتِبَ على الذين من قبلهم.

٢-أنه أيام معدودات.

٣-أنه لم يفرضه على المريض والمسافر.

الوقفة الخامسة: الغاية من الصيام

فالغاية من الصيام كما قال سبحانه: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

ما معنى التقوى؟ هي العمل بالطاعة وترك المعصية.

فكيف الصوم يحقق التقوى؟

لأن الصوم عبادة خفية تعين الانسان على مراقبة الله تعالى، وكذا الصوم يضيّق مجرى الشيطان، فالشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالتالي لما يصوم الانسان يضيّق مجاري الشهوة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» متفق عليه.

الآية الثانية: [أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] ﴿البقرة:١٨٤﴾.

في هذه الآية نقف عدة وقفات:

الوقفة الأولى: مراعاة النفوس البشرية

حيث بيّن سبحانه أنَّ هذا الصيام ليس سنين ولا شهوراً عديدة بل هو أياماً معدودات؛ فالإنسان لما يأمرك بأمر ويبسّطه لك تقبله النفس ولله المثل الأعلى فهو سبحانه لما أمر بالصيام بيّن أن الصيام فقط ما هو إلّا أيام معدودات فتقبله النفس.

وفي قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) هنا فيه تقدير محذوف تقديره (فأفطر) فعدة من أيام أخر. هكذا قال جمهور العلماء؛ وبعضهم يقول: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) وصام في هذه الأيام وهو مريض أو مسافر فصيامه غير صحيح ولا بد أن يقضي بعد ذلك.

ومن هنا نأخذ وقفة وهي:

الوقفة الثانية: المشقّة تجلب التيسير

كما قال الناظم: ومن قواعد الشريعة التيسير ... في كل أمرٍ نابه تعسير

فإذا أصاب الإنسان مرض ومعه لا يستطيع الصوم، أو سافر جاز له الفطر وذلك للمشقة الحاصلة في المرض والسفر.

والسفر مطلق ولكن لا يُترخَص برخص السفر إلّا إذا فارق عمران بلده.

والمريض: ليس كل مرض يجوز به الفطر وإنما المرض الذي يُشقُ معه الصوم، والبعض يقول: كما أطلق السفر في الآية فكذا الحال مع المرض فأي مرض يصيب الإنسان جاز له الفطر ولكن الصحيح والله أعلم أن المرض الذي تحصل به المشقة في الصيام يجوز للإنسان الفطر؛ والعلامة العثيمين رحمه الله قسّم حال المريض مع الصوم إلى الحالات الآتية:

١-لا يشق عليه الصوم ولا يضرّه فهذا لا رخصة عليه في الفطر.

٢-يشق عليه الصوم ولكن لا يضرّه فهذا مكروه في حقه الصيام لأن له رخصة من الله والله سبحانه وتعالى يحب أن تؤخذ رخصه.

٣-يضرّه الصوم فهذا حرام في حقه الصيام، فالله سبحانه يقول: [وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا] ﴿النساء:٢٩﴾.

وفي قوله: (فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) يقضي أيام مقابل هذه الأيام التي أفطرها إذا أفطر رمضان كله فإنه يصوم شهراً بعدد أيام رمضان فإذا صام الناس ٢٩ يوماً يقضي ٢٩ يوماً وهكذا؛ وإذا صام الناس في الصيف وأراد أن يقضي في الشتاء جاز له لأن الله يقول: (فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) وأيام الصيف وايام الشتاء هي من الايام.

وهل يلزم في القضاء التتابع؟؟ الصحيح من أقوال العلماء أنه لا يلزم ذلك.

ومن هنا نأخذ وقفة ثالثة وهي:

الوقفة الثالثة: وما ربك بظلام للعبيد

فحكم الله بين أمرين: العدل والفضل: كما في قوله تعالى: [مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] ﴿الأنعام:١٦٠﴾.

ويقول الله: [إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا] ﴿النساء:٤٠﴾.

ويقول: [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا] ﴿طه:١١٢﴾.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ» رواه مسلم

وفي قوله: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) أي يستطيعون الصيام، وهذا في بداية الأمر حيث كان الشخص مخيّر بين الصوم أو الإطعام.

(فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ) ومن زاد عن الفدية فهذا خير، فمثلاً بدلاً من أن يطعم مسكين عن كل يوم أطعم أثنان فهذا خير.

ثم قال سبحانه: (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فالتخيير في الصوم مثله مثل الحال في تحريم الخمر حيث لم يحرّمها الله سبحانه مباشرة بل تدرّج معهم في التحريم فبادئ الأمر قال الله عنها: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا] ﴿البقرة:٢١٩﴾.

ثم نهاهم الله عن شربها حال الصلاة كما قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ] ﴿النساء:٤٣﴾.

ثم جاء التحريم المطلق، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ(٩١)]. ﴿المائدة﴾.

قال عمر رضي الله عنه: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا.

ونزلت آية تحريم الخمر وأنس بن مالك رضي الله عنه كان يسكب الخمر لبعض الأصحاب في بيت أبي طلحة الأنصاري زوج أم سُليم وهي أم أنس، فسمع المنادي ينادي ألا ان الخمر قد حُرِّمت فقاموا واراقوها في السكك والشوارع.

(وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) في هذه الآية قرأ ابن عباس رضي الله عنهما قوله (يُطِيقُونَهُ) بفتح الطاء وتشديد الواو فتكون بمعنى يتكلفونه،

فأبن عباس رضي الله عنهما يرى أن الآية غير منسوخة وإنما هي في حق الشيخ الكبير وفي حق الحبلى والمرضع اللتين يشقُّ عليهما الصيام فإنهما يفطران.

وبعض أهل العلم يوجب عليهما القضاء، والبعض يوجب عليهما القضاء مع الفدية، والبعض يقول: إن خافتا على أنفسهما فعليهما القضاء فقط، وإن خافتا على أنفسهما والجنين والرضيع فعليهما القضاء مع الفدية وهذه مسألة فيها خلاف بين العلماء.

الوقفة الرابعة: من الحكمة الاشتغال بالفاضل عن المفضول

تُؤخذ هذه الوقفة من أن في بداية فرض الصيام فالشخص مخيّرٌ بين الاطعام أو الصيام ولكن الله قال: (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ) ففي ذلك إشارة إلى أن الانسان ينبغي له أن يشتغل بالفاضل الذي فيه أجرٌ عظيم عن المفضول، ولذلك أحسن ما نتقرّب به إلى الله هي الفرائض قبل النوافل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " رواه البخاري.

الآية الثالثة والرابعة: قال تعالى: [شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ(١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(١٨٦)] ﴿البقرة:١٨٥-١٨٦﴾.

مع هذه الآيات نقف عدة وقفات:

الوقفة الأولى: تعظيم الشهر بذكر اسمه

سُمِّيَ الشهر شهراً لاشتهاره ووضوحه ومعرفة الناس له؛ و سُمِّيَ رمضان برمضان لأمرين: اما أنه مأخوذ من الرّمضاء، وقيل من الرَّمض وكلا المعنيين صحيح، والرّمضاء هي شدة الحرّ.

وقيل: لما نُقلت أسماء الشهور صادف شهر رمضان أن كان ذاك الوقت حرّ فسُمِّيَ برمضان.

وقيل: من الرّمض وهي محرقة الذنوب، فرمضان يكفّر الذنوب ويمحوها.

ورمضان شهر عظيم إذ أن الله سبحانه لم يذكر شهراً باسمه في كتابه الكريم إلّا شهر رمضان.

ونأخذ فائدة من هذا وهي: أن نعظّم ما عظّمه الله تعالى، قال تعالى: [ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ] ﴿الحج:٣٢﴾.

فيعظّم المسلم هذا الشهر ويحرص على اغتنامه بالطاعات والبعد عن المعاصي والمنكرات.

الوقفة الثانية: من أعظم المنن على هذه الأمة في هذا الشهر نزول القرآن

هذه الوقفة مأخوذة من قوله تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ).

فالقرآن الكريم نزل في ليلة مباركة وهي ليلة القدر، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة في السماء الدنيا ثم نزل منجّماً (مفرّقاً) على النبي صلى الله عليه وسلم حسب الوقائع والأحداث وكان ابتداء نزول القرآن الكريم في شهر رمضان.

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ» أخرجه أحمد

قوله (هُدًى لِلنَّاسِ) كل الناس ينتفعون بالقرآن وهذا انتفاع عام، وهناك انتفاع خاص يكون للمتقين كما قال تعالى: [ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ] ﴿البقرة:٢﴾.

وعامة الناس قد ينتفعون بالقرآن، فهذا رجل نصراني في افريقيا فتح المذياع فوقع على موجة لإذاعة FM انشأها المسلمون هناك فيها يُتلى القرآن الكريم، فتأثر هذا الرجل النصراني بالقرآن وأُعجب به وذهب يسأل عن هذا الفنان ظاناً أنَّ هذا غناء وفن، فدلّه الناس على مبنى هذه الإذاعة فذهب لهذه الإذاعة وقال لهم: أريدُ هذه الأغنية التي قمتم ببثها قبل لحظات في اذاعتكم، فقيل له: هذه ليست بأغنية وإنما هذا كلام الله الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم فتأثر واعلن اسلامه.

قال تعالى: [وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ] ﴿الأحقاف:٢٩﴾.

وقال سبحانه: [قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا] ﴿الجن:١﴾.

قوله (وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) آيات واضحات، فرق بين الحق والباطل.

بما أن القرآن نزل في رمضان فينبغي لنا جميعاً أن نهتم بالقرآن في هذا الشهر مدارسة ومراجعة وحفظاً وتلاوة.

جاء عن الامام مالك رحمه الله أنه كان في رمضان يغلق كتب العلم ويقبل القرآن.

وذكروا عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه في آخر حياته أخذ القرآن وقال: شغلني عنك الجهاد !!

(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) أي من كان حاضراً صحيحاً مقيماً فليصمه.

ولما كان الصيام في بداية الفرض هو اختيار جات هذه الآية لتبيّن أنه لا مجال للتخيير بين الاطعام أو الصيام، وأن الصيام أصبح فرضاً ونُسخت آيات التخيير إلّا من كان مريضاً أو مسافراً جاز له الفطر ولذلك أعاد الله الآية حتى لا يتوّهم ويظن بعض الناس أن الرخصة منسوخة في حق المريض والمسافر فقال سبحانه: (وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ).

(يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) وهذه قاعدة تم التطرّق لها سابقاً فدين الله عزوجل دين يسر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» رواه البخاري

والنبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل وابا موسى الاشعري رضي الله عنهما إلى اليمن قال لهما: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا» رواه البخاري.

الوقفة الثالثة: وجوب اكمال العبادة على الوجه اللائق

هذه الوقفة مأخوذة من قوله تعالى: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ) واكمال العدة عند العلماء على وجهين: اكمال العدة أي اكمال شهر رمضان ٢٩ يوماً أو ٣٠ يوماً.

وبعضهم قال اكمال العدة: هذا خاص فيمن أفطر في رمضان بمرض أو سفر فبعد ذلك يكمل العدة بالقضاء.

والمعنيان كليهما يحتملان ولا تعارض بينهما.

الوقفة الرابعة: ذكر الله بعد العبادات

هذه الوقفة مأخوذة من قوله: (وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) فيأتي الذكر كثيراً بعد العبادات؛ قال تعالى: [فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ] ﴿البقرة:٢٠٠﴾.

وقال: [فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا] ﴿النساء:١٠٣﴾.

ولذلك استحب كثير من العلماء التكبير بعد انتهاء رمضان من غروب شمس ليلة العيد إلى حضور الامام لصلاة العيد.

الوقفة الخامسة: الاعتناء بالدعاء أثناء الصيام

هذه الوقفة مأخوذة من ادخال آيات الدعاء بين آيات الصيام (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ).

هذا سؤال وجّه إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الأعراب فقالوا: ربنا أقريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله هذه الآية.

وقُربُ الله على معنيين: قربٌ عام من الناس كلهم، وقرب خاص بالتأييد والمعيّة الخاصة وقريب لإجابة دعوة عبده؛ وبالتالي لما ندعو الله نوقن بالإجابة لأن الله قال: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ).

وفي آية أخرى قال: [وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] ﴿غافر:٦٠﴾.

قال عمر رضي الله عنه: اني لا أحمل همّ الإجابة ولكنّي أحملُ همّ الدعاء.

والمسلم لما يدعو الله له بدعوته هذه إحدى ثلاث كما جاء في الحديث:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا " قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ» أخرجه أحمد.

قالت أم الدرداء لشهر بن حوشب: إذا وجدتَ القشعريرة من بدنك فهذه علامة الإجابة.

ولا بد أن نحضر قلوبنا عند الدعاء فالله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاهٍ.

في هذه الآية قال سبحانه: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)، وفي آية أخرى قرن الإجابة بالاشتراط قال تعالى: (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) ﴿الأنعام:٤١﴾، ما الفرق بين الآيتين؟

أجاب الشيخ الشنقيطي عن هذا الاشكال فقال: الآية الأولى في دعاء المؤمنين فدعاء المؤمن مستجاب بدون استثناء إلّا إذا فيه موانع أخرى.

أما الآية الأخرى: من السياق في هذه الآية يتّضح أن هذا دعاء المشركين فإن شاء الله استجاب الله لهم وإن شاء لم يستجب لهم.

ولنحرص على أوقات يستجاب فيها الدعاء مثل: الوقت بين الآذان والاقامة، آخر الليل وقت السحر، عند السجود، أثناء الصيام وغيرها.

الآية الخامسة: قال تعالى: [أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي المَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آَيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] ﴿البقرة:١٨٧﴾.

نقف مع هذه الآية الكريمة عدة وقفات:

الوقفة الأولى: اثبات حكم النسخ

فالله ينسخ حكماً إلى حكم آخر اما تسهيلاً أو تدرّجاً في الحكم على العباد.

فقوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) تشعر هذه الآية أن هذا الأمر كان محرماً من قبل لأنه قال: (أُحِلَّ).

و(الرَّفَثُ) فسّره كثير من العلماء أنه الجماع.

وكانوا في أول الأمر عندما أُفترِضَ عليهم الصوم كان الواحد إذا صام وصلى العشاء أو نام فلا يجوز له أن يأكل أو يشرب أو أن يأتي زوجته إلى الليلة الثانية.

فهذا عمر رضي الله عنه كان يسمر عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاء بعد ذلك إلى زوجته وأراد منها ما يريد الرجل من زوجته فقالت: اني قد نمتُ، فقال لها: ما نمتِ ثم وقع بها، وفي الصباح ذهب عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما حصل، فأنزل الله هذه الآية (عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ).

(فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ) خفف عليكم، وعفا عما حصل منكم قبل هذا الحكم.

(وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) اطلبوا بهذا النكاح ليس مجرد فقط قضاء شهوة وإنما ننوي أن يرزقنا الله ولداً سواءً ذكراً أم أنثى ونعف أنفسنا وأهلنا عن الحرام.

وقال بعضهم: اطلبوا ليلية القدر فلا تشغلكم لذة الوطر والجماع عن ليلة القدر، فإن هذه اللذة تُدرَك أما ليلة القدر فتفوت عليكم (هذا معنى كلام للعلامة السعدي رحمه الله في تفسيره).

وفي قوله: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ) هذا كناية عن الجماع فالزوجات كالفراش لأزواجهنّ والأزواج كاللحاف لهنّ.

وفيه أن الزواج سترٌ للإنسان، فالزوج سترٌ لزوجته وهي أيضاً سترٌ لزوجها وبدأ بهن لأن المرأة سترها للرجل أعظم من ستر الرجل لها ولذلك بدأ بهن.

(عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ) قيل من الخيانة يخون الانسان نفسه بأن يوقعها في الحرام وبالتالي يوقعها في سخط الله وعذابه فكأنّه خان نفسه وظلمها، والله سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء،

قال تعالى: [أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] ﴿هود:٥﴾

ومن هنا نأخذ وقفة ثانية وهي:

الوقفة الثانية: التكنّي بألفاظ الجماع

فمن أدب القرآن الكريم وروعته أنه لا يصرّح بألفاظ الجماع ففي الآية السابقة قال سبحانه: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ)، وفي آية أخرى قال: (أَوْ لَامَسْتُمُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النِّسَاءَ)، وفي أخرى قال: (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ)، وفي آية أخرى قال: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ).

وكذا الحال مع نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم فكان لا يصرّح بألفاظ الجماع، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: جَاءَتْ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ القُرَظِيِّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ، فَطَلَّقَنِي، فَأَبَتَّ طَلاَقِي، فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ إِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَقَالَ: «أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لاَ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ»، وَأَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَهُ، وَخَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى هَذِهِ مَا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. متفق عليه

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ) وسبب نزول هذه الآية كما جاء في صحيح البخاري:

عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا، فَحَضَرَ الإِفْطَارُ، فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلاَ يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لاَ وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) [البقرة: ١٨٧] فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَنَزَلَتْ: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ) [البقرة: ١٨٧].

ولفظ (مِنَ الفَجْرِ) فقد تأخر نزولها: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: " أُنْزِلَتْ: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ، مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ) [البقرة: ١٨٧] وَلَمْ يَنْزِلْ (مِنَ الفَجْرِ) [البقرة: ١٨٧]، فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الخَيْطَ الأَبْيَضَ وَالخَيْطَ الأَسْوَدَ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيَتُهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدُ: (مِنَ الفَجْرِ) [البقرة: ١٨٧] فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " متفق عليه.

ومن هؤلاء الصحابة الذين اشتبه عليهم الأمر الصحابي عدي بن حاتم رضي الله عنه: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ) [البقرة: ١٨٧] عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ، وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ، فَلاَ يَسْتَبِينُ لِي، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ» متفق عليه

فائدة: الفجر فجران صادق وكاذب:

فأما الفجر الكاذب قال العلماء: يمتد عمودياً جاء في الحديث كذنب السِّرْحَانِ، وتعقبه ظلمة، وبينه وبين الأفق مساحة.

وأما الفجر الصادق: يمتد أفقياً على رؤوس الجبال، ويعقبه انتشار للضوء أكثر فأكثر، ويكون متصل بالأفق.

ومن هنا نأخذ وقفة وهي:

الوقفة الثالثة: استحباب السحور

ينبغي للصائم الحرص على أكلة السحر، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً» متفق عليه.

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ» رواه مسلم

ولو تسحّرتَ بتمرات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ» أخرجه أبو داود وصححه الألباني.

ويحرص المسلم في هذا الوقت (وقت السَّحَر) على قراءة القرآن، والاستغفار، والدعاء فهذا وقت فاضل.

الوقفة الرابعة: مشروعية الاعتكاف أثناء الصيام

وهذا الوقفة مأخوذة من قوله تعالى: (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) والاعتكاف سنة فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم في العشر الأخيرة من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف نساؤه بعده.

قال الزهري رحمه الله: عجباً للمسلمين كيف تركوا سنة الاعتكاف والرسول صلى الله عليه وسلم ما تركه حتى قبضه الله.

فائدة: هناك اشكال قد يطرأ وهو في قوله تعالى: (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) أي أن الواحد لا يجامع زوجته وهو معتكف في المسجد، فهل يجوز للإنسان مجامعة زوجته في المسجد في غير الاعتكاف؟

أجاب البغوي رحمه الله عن هذا الاشكال فقال: (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) كانوا يخرجون أثناء الاعتكاف لحاجاتهم، فسيجد زوجته فقال سبحانه (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ) في هذه الحالة كون حالكم عاكفون في المساجد أي حال كونكم معتكفين.

أما مباشرة المرأة في المسجد سواء في اعتكاف أو في غيره لا يجوز فالمساجد ليست محل لذلك.

(تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا) وفي آية أخرى من نفس السورة قال: (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا) فما الفرق بين الآيتين؟

فالآية (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا) جات في محل أوامر وفي الأوامر لا تتعدى.

أما الآية (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا) جات في محل نواهي، والنواهي فلا تقربوها، وهذا أبلغ من قول (فلا تفعلوها) فلا تقربوها بمعنى لا تفعلوها ولا تباشروا الأسباب التي تؤدي إليها.

وهذا مشابه للحال في الزنا والقتل:

ففي القتل قال سبحانه: [وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقّ] ﴿الإسراء:٣٣﴾

فالقتل يحصل بسهولة وبدون مقدمات. ولذلك قال (وَلَا تَقْتُلُوا)

أما الزنا ففيه مقدمات ولذلك قال: [وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا] ﴿الإسراء:٣٢﴾

(كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) فإذا وُضِّحتِ الآيات يتقي الناس ربهم ويعلمون ماذا عليهم أن يفعلوا وماذا عليهم أن يتركوا.

[وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] ﴿التوبة:١١٥﴾

تم بحمد الله